

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (4245) السنة الخامسة عشرة - الأربعاء (1) آب 2018

WWW.almadasupplements.com



ميخائيل بولغاكوف

بولغاكوف في جامعة بغداد

تسلّمت رسالة من إحدى طالباتي سابقاً في نهاية القرن العشرين (وهي الآن دكتورة وأستاذة مساعدة في قسم اللغة الروسية في كلية اللغات بجامعة بغداد) تطلب مني رأياً استشارياً محدداً بشأن مسألة علمية حول كتابة أطروحة ماجستير في القسم المذكور، يشارفها تتناول ترجمة المصطلحات باللغة الروسية الى اللغة العربية، واختيار نص روسي من الأدب الروسي الحديث مترجم الى العربية واعتماده كنموذج لهذه الدراسة..

		ضياء نافع			

وكتت أنا في تلك اللحظة أعيد قراءة رواية بولغاكوف (المعلم ومارغريتا) بترجمة المترجم السوري البدع الأستاذ يوسف حلاق (زيملي في الدراسة بكلية الآداب في جامعة موسكو في الستينيات) ووبراجعة صديقي العراقي البدع والمقيم بشكل دائم في موسكو الأستاذ عبد الله حبة، والتي أصدرتها دار نشر رادوغا (قوس قزح) السوفيتية عام ١٩٩٠، فرسّخت لها رأساً هذه الترجمة للرواية المذكورة نونجاً لتحقيق تلك الأجابه عن الأسئلة المرتبطة بموضوع الأطروحة المذكورة، ونسيت الموضوع بعدئذ برثته في زحمة مسيرة الحياة وأحداثها الصاخبة والعاصفة. وفضاءً، وبعد مرور فترة طويلة نسبياً، تسلّمت من الدكتور رسالة تفصيلية تحتوي

على عمل علمي متبلور ورائع قامت به طالبة ماجستير وبإشرافها العلمي طبعاً، وكم كتبت سعيداً بهذا الطروحة العلمية وعمقها، والتي أثبتت لي – قبل كل شيء – أن الوضع العلمي السائد في قسم اللغة الروسية الجيبب في جامعة بغداد ما زال بخير رغم الظروف الصعبة المعروفة للجميع حول المستوى العلمي العام للدراسة الجامعية في العراق وإشكالاتها الهائلة. أود في هذه المقالة أن أتوقف عند هذه النقطة والحدث قليلاً عن هذه الاطروحة التي كتبتها طالبة الدراسات العليا ويأشراف الدكتور منى عارف جاسم – الأستاذة المساعده في قسم

اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد. عنوان الأطروحة هو – العبارات الأجنبية اصطلاحية ذات المغزى الثقافي الشعبي بين العربية والروسية / رواية بولغاكوف (المعلم ومرغريتا) أنموذج /، وقد كتبتها طالبة الدراسات العليا في قسم اللغة الروسية بكلية اللغات في جامعة بغداد – هبة حسين محمد، بإشراف الأستاذة المساعدة الدكتورة منى عارف جاسم. تقع الأطروحة بـ (١٤٧) صفحة، وتتكون من مقدمة وفصلين وخاتمة وقائمة المصادر التي استخدمتها الباحثة (باللغة الروسية بـ ٤١ مصدراً، والقواميس الروسية ١٤ قاموساً، و٩ مصادر بالإنكليزية). لقد أدهشتني اللغة الروسية السلمية لهذه الطروحة قبل كل شيء، وتذكرت معاناتنا – نحن أساتذة قسم اللغة الروسية في العراق – من جراء ذلك، إذ أن طالب الدراسات العليا في حينها – لا يستطيع ولا يمكن تحصيله العلمي أن يصل الى هذا المستوى الذي يجعله يكتب أطروحته كما يجب باللغة الروسية، وبالتالي فإن المشرف يضطر الى أن يجد محرر الأطروحة

ميخائيل بولغاكوف الأعمال المختارة

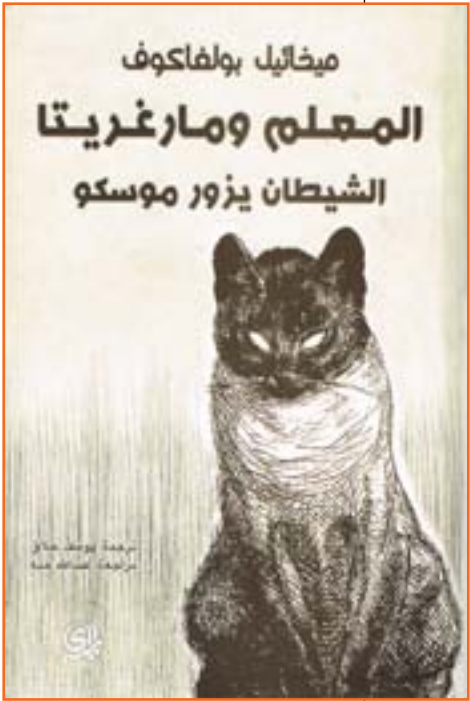
قلب كلب (رواية)
بيوض الشوم (رواية)
مذكرات طبيب ريفي (قصص)

ترجمة : عبدالله حبه



كي يكتبها باللغة الروسية، وكم تحدثنا عن هذا الموضوع في حينها ولكن من دون جدوى، إذ أن تحرير الأطروحة يمتلك اهمية قصوى لا تقل عن اهمية البحث عن المصادر وترتيبها وعرض الأفكار المرتبطة بها واستخلاص النتائج منها و..الخ، متطلبات الدراسات العليا. وقد وجدت الشرفة حلاً دقيقاً وصحيحاً جداً، عندما نُبئت في تلك الأطروحة اسم أستاذة روسية باعتبارها مستشارة علمية لتنفيذ هذا العمل العلمي المهم، ويشعر قارئ هذه الأطروحة رأساً بالجدد الكبير الذي بذلته هذه المستشارة في التحرير المتقن للنص الروسي، والذي جعلته سلسلاً

فعلاً وخالياً من الأخطاء في مجال القواعد والأسلوب وغيرها، والتي يقع فيها الإنجليزي مهما كانت معرفته عميقة في مجال اللغة الروسية، واتمنى أن تكون هذه المبادرة الشجاعة خطوة في تثبيت هذا التقليد العلمي السليم لاحقاً (أي أن يكون هناك مستشار علمي جامعي لكل أطروحة باللغات الأجنبية من بلد تلك اللغة)، إذ أنه يُجسد الحل العلمي الوسط بين كتابة الأطروحة باللغة القومية للبلد كما هو معمول به في معظم بلدان العالم، بغض النظر عن موضوع الأطرايح واختصاصاتها وبين ما هو قائم في بلدنا حول ضرورة كتابة الأطروحة بلغة الاختصاص حصراً، لأن الأطاريج هي عمل علمي جماعي يحتاج الى جهود مجموعة من الباحثين ابتداءً من طالب الدراسات العليا وانتهاءً بالمشرف العلمي للأطروحة، وهذا ما تحقق فعلاً في هذه الأطروحة، إضافة الى أن الأخذ بهذا المبدأ السليم سيؤدي الى تعميق التعاون العلمي بين جامعاتنا من جهة وبين جامعات العالم، هذا التعاون الذي نحتاجه نحن بالذات قبل تلك الجامعات



لا أريد هنا بالطبع أن أفرض نفسي عضواً في لجنة المناقشة لهيئة الأطروحة، إذ يكفي أن ثلاثة من أفضل طلّبي سابقاً قد ناقشوها (وهم الآن كاترة وتدرسيون لاعون في قسم اللغة الروسية) – د. عقيل جحبي ود. نهلة جواد و د.تحسين زراق عزيز، ولكني – مع ذلك – أود أن أسجل هنا بعض الآراء، منها – أن الفصل الأول في الأطروحة كان يتميّز بالروح العلمية العميقة، وكان الجهد الذي بذلته الباحثة في إعداده هائلاً، وكذلك كان واضحاً جهد المشرفة العلمية في إعداده سواء في الشرح والتحليل أو في المصادر الأصيلة والغنية والعديدة في هذا المجال اللغوي الحيوي (يقع الفصل الأول بـ ٧٨ صفحة من تلك الأطروحة، وأظن أنه كان يجب أن يحتزل قليلاً رغم أهميته النظرية). أما الفصل الثاني (يقع بـ ٤٤ صفحة، والذي أظن أنه كان يجب أن يكون أول في الشرح وتناول رواية بولغاكوف والمصطلحات التي جاءت هناك ومقارنتها مع المصطلحات العربية، وأرى أنه لم يكن شاملاً لكل الرواية مقارنةً بالفصل الأول المعق، رغم

رشاقة الإشارات الذكيّة والملاحظات الدقيقة والصارمة وحيويتها بلا شك، ولا مجال هنا للإشارة الى كل تلك الأمثلة.

والملاحظات الصحيحة والممتازة حول الترجمة والبدائل الجميلة فعلاً التي قدمتها الباحثة هناك بشأن النص العربي الذي ترجمه يوسف حلاق، دون التقليل طبعاً من جهوده المتميزة بلا شك، إذ أن تلك الملاحظات كانت تنطلق أيضاً من الاجتهادات الذاتية والشخصية ليس إلا.

شكراً لقسم اللغة الروسية بجامعة بغداد على هذا العمل العلمي المتميز، والذي أظن أنه كان يجب أن يسهم في هذا العمل العلمي المتح من الباحثة هبة حسين محمد والمشرفة العلمية د. منى عارف جاسم والمستشارة العلمية من جامعة فارونش الروسية نتاليا مروتس وزملائي أعضاء لجنة المناقشة. ننتظر منكم جميعاً إنجازات إبداعية أخرى.



لا يماري أحد في أن الكاتب الروسي ميخائيل بولغاكوف (١٨٩١-١٩٤٠) يعتبر أحد أبرز الكُتّاب الروس في القرن العشرين. وقد أدرجته جامعة ييل الأميركيّة بين أعظم عشرة كُتّاب أثروا في الأدب العالمي المعاصر. علماً أن أعمال هذا الكاتِب القليلة لم تنشر في وطنه إلا بعد وفاته بأكثر من ٢٥ عاماً. وكان الكاتب قد نشر جزءاً فقط من روايته الأولى "الحرس الأبيض" في إحدى المجلات الدورية في عام ١٩٢٣ وعدة قصص، فجلبت إليه أنظار النقاد والمهتمين بالأدب بصفته موهبة أدبية متألفة جديدة. أما أعماله المسرحية الرئيسيّة مثل "أيام أسرة توربين" و"موليير" و"شقة زويا" فكانت تقدم على خشبة مسرح موسكو الفني ومسرح فاخيانغوف في فترات متقطعة في حياته بين فترة وأخرى طبقاً لمزاج المسؤولين في القسم الثقافي في الحزب الشيوعي السوفيتي. وفي الفترة من عام ١٩٤١ الى عام ١٩٥٤ سمح بتقديم مسرحيتين له فقط، هما "الأيام الاخيرة"(بوشكين) و النص المسرحي الذي أعدّه من رواية نيقولاي غوغول "الأنفس الميتة". وبقيت مخطوطات غالبية أعماله بدون نشر بعد وفاته في عام ١٩٤١. ولم تعرف ثلاثة أجيال من أبناء الاتحاد السوفيتي شيئاً عن الكاتب وأروع أعماله – رواية "المعلم ومرجريتا" إلا في عام ١٩٦٦ لدى نشرها مع حذف بعض المقاطع منها في إحدى المجلات الأدبية. وجسد الكاتب فيها وقائع حياته والأوضاع في بلاده بصورة مجازية وشاعرية اقترن فيها الواقع والخيال بأروع شكل مما جلب له الشهرة في الاتحاد السوفيتي والعالم حال نشرها.

ومأساة بولغاكوف تكمن في أنه لم يستطع الاندماج مع الأوضاع الناشئة في روسيا بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية في عام ١٩١٧ حين دعا زعيمها لينين الى وضع الأدب في كنف الحزب وإخضاعه لمهام الثورة الأنية. ولئن سار في هذا الدرب الكثير من شعراء وكتاب الاتحاد السوفيتي لاحقاً مثل فلاديمير ماياكوفسكي وديميان بيدني، وحتى الكسندر بلوك في سنّي الثورة الأولى ومكسيم غوركي "كاتب البروليتاريا الأول وميخائيل شولوخوف في الفترة بعد صدور روايته "الدون الهائي" والكونت الكسي تولستوي بعد عودته من المهجر والكسندر فاديف والفنّين كاتاييف وإسحاق بابل وزوشينكو وفسيغولود ايفانوف ومئات الكتاب والشعراء غيرهم، فإن آخرين وجدوا صعوبة في الاندماج مع شعاع "الأدب والفن من اجل تحقيق مهام الحزب"، ومنهم بولغاكوف ومارينا تسفيتايفا وأنا اخاتوفا و اوسيب مندشتام وبوريس باسترناك وغيرهم الذين اعوانا الأيرين من الرقابة الحزبية وملاحقة

السلطات لهم. علماً أنه ظهر في أو اخر العشرينيات وحتى تفكك الاتحاد السوفيتي عدد كبير من الكُتّاب "الحزبيين" الملتزمين بالقوعية الاشتراكية التي لم يستطع أي أحد من الباحثين حتى الآن اعطاء تقييم دقيق ومحدد لها. ولظهر كتاب تخصصوا في الكتابة عن لينين مثلاً ومنهم ميخائيل شاتروف الذي كتب سلسلة من المسرحيات عنه التي فرضت على مسارح البلاد. كما تخصص كتاب آخرون في الكتابة عن أحداث الثورة البلشفية والحرب الأهلية.

وبعد الحرب العالمية الثانية صدرت مئات الروايات والمسرحيات عن بطولة رجال الجيش الأحمر. ومنذ أواخر العشرينيات، توفي الكثير من المناضلين الثوريين أو قتلوا في معارك الحرب الأهلية، وتولى السلطة مغلو البيروقراطية الحزبية، وفقد الحزب شحنتاته الثورية ومبادئ العدالة الاجتماعية الحقيقية التي جذبت إليه سابقاً بسطاء الناس والمعتبين في الأرض. وتولى هذه الأجواء ما كان يمكن تقبل أدب الكاتب ميخائيل بولغاكوف البعيد عن "الحزبية"...

الكاتب الذي واصل تقاليد الأدب الكلاسيكي الروسي ذي النزعة الغنسانية البعيد عن الايديولوجيات. وثمة رأي سائد في خارج روسيا مفاده أن جميع الأدب الروسي خاضع لايديولوجية ما. ولكن الدراسة

لغز بولغاكوف... صراعٌ خفي بين الأديب والسلطان

عبد الله حبة

الموضوعية لأعمال بوشكين وغوغول وسالتيكوف شيدرین وليسكوف وحتى تولستوي ودوستويفسكي وتشخوف، تظهر أن هذا الأدب غير مؤلج. وواصل بولغاكوف رسالة هؤلاء الكتاب وتأثر بشكل خاص بأعمال غوغول وسالتيكوف شيدرین في تصوير الواقع بأسلوب ساخر. الأمر الذي جعله عرضة للهجمات المستمرة في الصحافة السوفيتية التي أنهالت عليه بسيل من الاتهامات بكونه يخدم الفكر البرجوازي ويتجاهل إنجازات الثورة.

نشأ بولغاكوف في كييف في أسرة قريبة من الكنيسة الأرثوذكسية. فقد كان والده أستاذاً في الأكاديمية الدينية، وورث هذه المهنة عن والده القسيس مرغما، حيث أن أبناء رجال الكنيسة كانوا يتمتعون بالحق في الدراسة مجاناً في المؤسسات التعليمية التابعة لها. أما والدته فقد كانت معلمة و ابنة قمص في الكنيسة المحلية بمقاطعة اوربول، حيث عاش الزوج أيضاً. إنها المقاطعة ذاتها التي وهبت روسياً مشاهير الكتاب مثل تورغينيف وليسكوف وبونين. وعاشت الأسرة حياة متواضعة في بيت مستأجر ورزق الوالدان بخمسة أولاد وبنات أكبرهم ميخائيل الذي اتقن منذ صباه عدة لغات وتشتبّع بحسب الأدب الروسي والموسيقى والغناء والمسرح، حيث كان غالباً ما يقدم افراد الأسرة واصدقائهم الحفلات الموسيقية والمسرحيات البيئية. وتأثر بولغاكوف بأجواء الفولكلور الأوكراني ذي السمات الشاعرية والخيال الواسع.

في صيف عام ١٩٠٧ توفي افاناسي ايفانوفيتش رب العائلة بعد إصابته بمرض شديد مرتبط بالتصلب الكلوي، وهو المرض ذاته الذي أصاب ميخائيل لاحقاً وأدى الى وفاته في عام ١٩٤٠. وكان هذا الحدث كارثة بالنسبة الى الأسرة كلها، لأنه كان معيلاً الوحيد. وفي البداية هبّ الإصمقاء لمساعدة الأسرة وخصّص لها راتب تقاعدي قليل، ثم اضطرت الأم الى العمل في التدريس وأصبحت مقتصة في مدارس البنات. ولكن مودرها لم تكن كافية لإطعام الأسرة الكبيرة.

كانت فارقارا ميخايوفنا والدة الكاتب، تتمنى أن يصبح أولادها من مهندسي الطب الحديث. لكن ميخائيل التحق بكلية الراض في جامعة كييف. وعندما كان في السنة الرابعة، نشبت الحرب العالمية الأولى فنقطع للنهاى الى الجبهة كطبيب جراح في





ميخائيل بولغاكوف
www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

مخبر

مدى

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني

خالد خضير

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى

مدى

للاعلام والثقافة والفنون

"الحرس الأبيض" يالها من صدفة يا بولغاكوف

سناء أمين

لرواية "الحرس الأبيض" للكاتب الروسي ميخائيل بولغاكوف (١٨٩١ - ١٩٤٠) وضعٌ خاص في الثقافة العربية؛ فهي تحظى ببعض الشهرة بسبب اطلاع مثقفين عرب عليها في لغات أخرى، وأيضاً لموقعها في الأدب العالمي. غير أنها ظلت غير مقروءة بلغة الضاد.

المفارقة أن سنة ٢٠١٨ حملت ثلاث ترجمات للرواية بعد قرابة قرنٍ على صدورها؛ الأولى أنجزها عبد الله حبة وصدرت عن "المركز القومي للترجمة"، والثانية وضعها شريف ناصر ونشرتها "الهيئة العامة السورية للكتاب". ومنذ أيام، صدرت ترجمة ثالثة لنيل يوسف عن "دار الخان".



رواية

ميخائيل بولغاكوف
ترجمة: يوسف نبيل
تحرير: وليد المشايخي

إن كان الأمر محض صدفة غريبة، فإنها تُثير أكثر من سؤال. "العربي الجديد" سألت نبيل يوسف (١٩٨٧) الذي نقلها عن الروسية مباشرة عن حيثيات هذه الترجمة، فقال: "تم الاتفاق مع دار النشر في الكويت على الترجمة عن الروسية مباشرة، لأن الرواية واحدة من أهم الأعمال الروسية التي لم تكن قد ترجمت بعد وقت الاتفاق". لكن محدثنا لا يجد تفسيراً لتوالي الترجمات في فترة واحدة. يثير صدور أكثر من ترجمة متزامنة للعمل أسئلة حول الفائدة منها، في المقابل، يُفسر يوسف تأخر ترجمة الرواية إلى العربية بينيتها السردية واللغوية؛ إذ "ضمت تقنيات أدبية مختلفة، فقد استخدم بولغاكوف أسلوبه الساخر والمرع في الآن ذاته، وتضمن السرد مرواحات بين الوصف الخارجي والداخلي. ومثل هذا الوصف يحتاج إلى قاموس لغوي واسع جداً لتذوّقه بالعربية كما بالروسية، من دون أن نهمل استخدام المؤلف تعبيرات أوكرائية الأصل يصعب فهمها في ترجمة حرفية. اعتقد أن هذا المزيج السردى الذي يهتم بأصغر التفاصيل البصرية، وفي الوقت نفسه يختلط بالسخرية والرعب هو الذي أحرز ترجمة الرواية".

وعن حضور "الحرس الأبيض"، وبولغاكوف بشكل عام، في الثقافة العربية، يقول المترجم المصري: "اشتهر بولغاكوف عند القراء العرب بعمل آخر هو 'المعلم ومارغريتا'. ورغم أهمية هذه الرواية، إلا أن الحرس الأبيض هي الأشهر، وهي العمل الذي حقق له شهرة في روسيا". يتابع: "حضور بولغاكوف في الثقافة العربية لا يزال مقتصرًا على دائرة القراء المحترفين -إن جاز التعبير-؛ فالقارئ العادي لا يعرف من الأدب الروسي سوى بعض أعلام عصره الذهبي مثل: غوغول ودوستويفسكي وتولستوي وتشيفوف".

تثير مسألة صدور أكثر من ترجمة عربية لعمل واحد أسئلة حول الفائدة من إعادة ترجمة النص نفسه، في حين أن نصوصاً أخرى لا تقل أهمية لا تزال غائبة عن العربية. يرى يوسف أن تعدد الترجمات ليس أمراً سلبياً، خصوصاً حين نتحدث عن أعمال أساسية في الأدب العالمي، وهي "أعمال تقرأ لمئات الأعوام؛ بحيث أن ترجمتين تفصلهما سنوات طويلة ستكونان مختلفتين، بل إن العودة إلى ترجمة الكلاسيكات المنجزة بشكل سيئ تعد واجباً على المترجمين الحاليين".

يشير يوسف إلى مسألة مهمة، تتجلى مع بولغاكوف بشكل خاص، إذ أن ترجمة أعمال كاتب من دون أخرى تصنع حالة تقبل مختلفة عن صورته لو وصل كاملاً إلى الثقافة العربية. يضرب، هنا، مثال تولستوي الذي ترجمت أعماله الأدبية، فيما لم تصل أعماله الفكرية بعد، مضيفاً أن قراءه تختلف عن قراءه ونحن نعلم أن الكاتب روائي ومفكر. يُضيف بأن هذا الوضع حفزه على الشروع في نقل مقاطع من أعمال فكرية ومقالات وخطابات لتولستوي، صدرت في كتاب بعنوان "في الدين والعقل والفلسفة"، وهناك عمل ثانٍ تحت الطبع سيظهر بترجمته بعنوان "طريق الحياة".

من جانب آخر، يشير يوسف إلى حاجة العالم العربي إلى الأعمال المعاصرة أيضاً من الأدب الروسي. لكن العملية، برأيه، تتطلب مترجمين متمكّنين، وتمييزاً بين اللغتين من السمين في الأدب الروسي، داعياً إلى التخلي عن الصورة الجاهزة عن الثقافة الروسية التي يقول إنها تختلف اليوم عن ثقافة القرن التاسع عشر أو العشرين، من حيث اللغة والتقنية وطبيعة الموضوعات.

تصل الرسالة إليه أصلاً من مساعديه. وكتب بولغاكوف الرسالة الثانية في عام ١٩٣٠ في لحظة يأس عندما منعت مسرحياته وفقد الأمل في نشر أعماله والحصول على أي عمل عموماً. وجاء فيها: "بعد أن منعت جميع أعمالني وتعلت أصوات كثير من المواطنين الذين يعرفونني ككاتب ناصحين بقولهم: اكتب مسرحية شيوعية"، وكذلك أبعث إلى الحكومة السوفيتية برسالة غفران تتضمن التخلي عن أفكار السابقة التي أوردتها في أعمال الأدبية، مع التأكيد بأن أعمل منذ الآن فصاعداً ككاتب - مسابر مخلص لفكرة الشيوعية. إن الهدف هو إنقاذ نفسي من الملاحقات والفقر والهلاك الحتمي في لحق الهلاك ليس بأعالي المأضية فقط بل والحاضرة والقادمة أيضاً. وقد أقيمت شخصياً بيدي في نيران الموقد مسودة روايتي حول الشيطان ومسودة كوميديا سيابسي سناج. كما أنني حتى لم أحاول كتابة مسرحية شيوعية، لأنني أعرف مقدماً بأنني لن أفلح في كتابة مثل هذه المسرحية. لقد نضجت لدي الرغبة في التوقف عن عذاباتي هذه في الكتابة مما أرغمني على التوجه برسالة صادقة إلى حكومة الاتحاد السوفيتي...".

وأورد بولغاكوف الأمثلة عن النقد الظالم والهذام لمسرحياته بقوله: "إنني لم أورد أفكاراً بالهمس في ركن منعزل. إنني أوردتها بشكل عمل دراماتيكي ساخر وقدمتها على خشبة المسرح. فكتبت الصحافة السوفيتية عن مسرحيتي "الجزيرة الحمراء" - بتحريض من لجنة البريتووار العامة - تقول إنها تستنق بالثورة. وهذا الاقتراء غير عادل. فالمسرحية تخلق في التشجيع بالثورة لأسباب كثيرة، ساورد أحدها لقلة المجال وهو أن من المستحيل كتابة تشجيع بالثورة لعظمتها البالغة. إن الكتابة الساخرة هي غير التشجيع. كما أن لجنة البريتووار العامة هي ليست الثورة... إن النضال ضد الرقابة مهما كانت وفي ظل أية سلطة وجدت هو واجبي ككاتب، وكذلك من واجبي الدعوة إلى حرية الصحافة. أنا من أشد المعجبين بهذه الحرية واعتقد أنه إذا ما أراد أحد الكتاب إثبات أنه لا يحتاج إليها، فقلته مثل السمكة التي تلعن جهاراً أنها ليست بحاجة إلى الماء.

تلكم هي إحدى سمات إبداعي... لكن مع السمة الأولى وجميع السمات الباقية الموجودة في أعمالنا الساخرة تبدو: صبغات سوداء وغيبية (أنا كاتب غيبى الإتياء) تجسد القبايح الكثيرة لواقعنا المعيشي، والسمة المترع به لساننا، والتشكك الشديد بالعملية الثورية الجارية في بلدي المتخلف، ومقابلتها بـ "الارتقاء العظيم"، والشئى الرئيس تصوير السمات البشعة لشعبنا، وفي رواية الحرس الأبيض أظهرت السمات التي أثارته قبل الثورة بوقت طويل المعاناة الشديدة لدى أساتذتي الكاتب سالتيكوف-شيدرين، ناهيك عن القول أن الصحافة السوفيتية لم تمنع الفكر في هذا كله وانشغلت بالأنباء غير المقنعة الزاعمة أن الأعمال الساخرة لميخائيل بولغاكوف هي "افتراء"....

وفي نهاية المطاف إن سماتي الأخيرة في مسرحيتي القتلين أيام آل توريين "الهروب" تصور الانتلجنسيا الروسية بإصرار بكونها الفئة الأفضل في بلادنا. ويضمن ذلك تصوير عائلة من المثقفين - النبلاء أُلقت بها المصائر - أنت على حق. أنا اعتقد ذلك أيضاً.



الضمر. ولا تنسوا أن الانطباع الرئيس المتبقى لدى الجمهور من هذه المسرحية هو انطباع جيد بالنسبة إلى البلاشفة". وقال ستالين الشيء ذاته عن مسرحية بولغاكوف الأخرى "الهروب" بعد مطالعته الثمانية فيها خلماً آخر أو إثنتين آخرين يصور فيها المحور الداخلي للولب الحرب الأهلية في الاتحاد السوفيتي...".

ويشير الباحث فلاديمير لاشكين إلى أن ستالين شاهد عرض أيام آل توريين ١٥ مرة كما شاهد عرض "شفقة زويا" في مسرح فاخانغوف ٨ مرات. ولربما أعجب ستالين بصراحة بولغاكوف الذي يطرح الأمور بدون لف ودوران. إن ستالين الذي كانت تساوره الريبة والخوف من الطغنة في الظاهر قد ثمن في بولغاكوف تمسكه برأيه وبشهور الكرامة الذاتية لديه، والتي تجلت في رسائل بولغاكوف الموجهة إلى الحكومة السوفيتية. وقد كتب بولغاكوف رسائل عدة إلى ستالين. فكتب في ٢ أيلول ١٩٢٩ إلى ستالين راجياً السماح له ولزوجته بالسفر إلى الخارج. لكن ستالين لم يرد وربما لم

من عزله القسرية السابقة. فالمسرح عمل جماعي، وعيد دائم لجميع العاملين فيه بالرغم من جميع المصاعب التي ترافق العمل المسرحي. وكان من أكبر الصعوبات بالنسبة له عدم تقبل ستانيسلافسكي لرؤية بولغاكوف في التأليف المسرحي. ومن المعروف أن ستانيسلافسكي رفض في حينه قبول تقديم مسرحيات تشيفوف في مسرح موسكو الفني، لولا تدخل نيميروفيتش - دانسينكو المرئي المسرحي والكاتب والمخرج المسرحي الذي كان معجباً بتشيفوف، وتنازل حتى عن جائزة بوشكين الأدبية التي منحت له لصالح تشيفوف. وقد كتف امامه الأبعاد الفنية القيمة لمسرحيات تشيفوف وقام شخصياً بتدريب الممثلين على الأدوار. وحدث الشيء ذاته هذه المرة مع مسرحيات بولغاكوف، حيث طلب ستانيسلافسكي تغيير العديد من المشاهد وحتى التركيز على أبطال معينين فيها. الأمر الذي أغضب بولغاكوف. وحدثت مناقشات حادة خلال البروفات. وحدث الشيء ذاته لدى العمل في مسرحيات بولغاكوف الأخرى في هذا المسرح ومنها "موليير".

وفي آخر المطاف، اضطر بولغاكوف إلى تقديم استقالته والانتقال للعمل في مسرح البولشوي في كتابة ليبريتو الأوبرات. وكتب بولغاكوف في رسالة مفصّلة بالسخرية المريرة إلى صديقه بيوتر بوبوف يشكو فيها من إدارة مسرح موسكو الفني جاء فيها: "لدي عيد اليوم.. انني أجلس عند المحيرة وانتظر أن يفتح الباب ويظهر وقد من ستانيسلافسكي ونيميروفيتش يحمل رسالة تحية وهدية ثمينة. ويناش في التحية إلى جميع مسرحياتي المشوهة والقتيلة... كما تدرج قائمة بجميع الأفراح التي انعموا بها عليّ خلال عشرة أعوام في زقاق مسرح موسكو الفني. أما الهدية الثمينة، فستتمثل بإناء معدني نبيلم ما (النحاس مثلاً) فيه الدم الذي امتصاه من عروقي خلال عشرة

وفيما وصف ستالين مسرحيات بولغاكوف في رسالته إلى الكاتب المسرحي بيبيل - بيولوتسيرسكي بأنها مسرحيات غير بروليتارية - بلا شك، فإنه دافع في الوقت نفسه عن آل توريين من هجمات اتحاد الكتاب البروليتاريين بقوله: "طبعاً أن من السهل توجيه النقد والمطالبة بحظر الأدب غير البروليتاري. لكن الشيء السهل جداً، لا يمكن اعتباره شيئاً جيداً... أما بصدد مسرحية "أيام آل توريين" فهي ليست رديئة لهذا الحد كما أنها تجلب المتعة أكثر من



الاقتراب أكثر من عالم بولغاكوف

د. فالج الحمراي*

السوري البارع يوسف الحلاق، والثانية لإبراهيم شكر ونشرت بعنوان "الشیطان يزور موسكو"، والعنوان هو أحد الخيارات التي كان بولغاكوف ينوي نشر الرواية بها، علاوة على ظهورها بلغات اجنبية بهذا الاسم وترجم الحلاق أيضاً مسرحية "الأيام الأخيرة لبوشكين". كما صدرت بالعربية "نشدت الشيطان" و"بيوض القدر" بترجمة السوري ناثر زين الدين، ومجموعة "مذكرات طبيب شاب" من ترجمة غسان مرتضى وقصة "الجزيرة القرمزية" بترجمة زار عيون السود ومسرحية "دون كيشوت" و"حياة السيد مولير" بترجمة هفال يوسف، وقصة "مورفين" بترجمة اسكندر حبش ومسرحية "دون كيشوت" بترجمة هاشم حمادي و"قلب كلب" بترجمة السوري نوفل نيوف. ولم تر النور بعد أعمال مهمة لبولغاكوف من بينها "رواية مسرحية" التي تتناول الحياة في الوسط المسرحي الروسي، والعلاقات الغريبة بين مؤسسي المسرح الفني قسطنطين ستانيسلافسكي ونيمروفيتش دانتشكو وتحليل شخصيتهما، علاوة على رائعته "الحرس الأبيض". إن الترجمات العربية من الروسية للعربية، وليس لأعمال بولغاكوف وحده، تعاني من القصور في نقل الظلال اللغوي واللهجة الخاصة التي تنفرد بها كل شخصية، بمفرداتها اليومية المعبرة، وهو أسلوب واضح لدى كبار الأدباء الروس. المترجمون العرب يستخدمون اللغة الفصحى الكلاسيكية، في نقل لغة الشخصيات العادية وتلونات لغة السارد التي تضفي الجمالية اللغوية على العمل الأدبي وتكشف عن ماهية الشخصية الروائية.

وبالرغم من أن أعمال بولغاكوف الرئيسة تحتل مستويات تأويل متعددة، إلا أن هناك قسائم مشتركة يجتمع عليها دارسو أدبه، وليس من الصدفة أن تتعدد ترجمات بعض أعماله بما في ذلك للعربية، وبخاصة قصته "قلب كلب" التي تضمنته المختارات لأعماله الصادرة مؤخراً عن دار المدى. حيث اندمجت في هذا العمل ثلاثة أشكال أدبية. المناحي الفنتازية والاجتماعية المضادة لليوتوتبيا والفن الساخر. وتمحور البعد الفنتازي حول العملية التي أجراها البروفيسور جراح الطب بريأوبريجينسكي لتحويل "كلب" إلى إنسان والناتج التي ترتبت على ذلك، وخلفية الحدث الذي تمت فيه العملية، أي ثورة أكتوبر البلشفية وطموحاتها في خلق عالم أفضل من انسان غير مؤهل بعد لاجتراح المآثر الحضارية، وما نزامن مع العملية من مفارقات تبرهن على استحالة تلك الطموحات.

حقاً أن بولغاكوف كتب عمله للسخرية من تلك التجارب الفنتازية / العلمية التي سادت عصره الطامحة لتحويل الكائنات من نوع إلى آخر، بما في ذلك تطوير الحيوان إلى انسان، ولكن سخريته التي ينم عليها عمله تكمن في استحالة تطوير الشخصية البشرية التي هي مخاض عصر وتاريخ وذهنية بقرار سياسي "كما كان يطمح له البلاشفة. في احياء إلى أن ذلك يتطلب مرحلة تاريخية طويلة الأمد. وبرهن انهيار التجربة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي على صحة دروس بولغاكوف التي أوحث بها معظم أعماله.



المحيط العالمي، حيث ترجمت أعماله إلى غالبية اللغات الحية وصدرت عنه الدراسات بها، كما تحولت إلى أعمال سينمائية ومسرحية شاهدها الزعيم السوفياتي الأسبق يوسف ستالين ١٣ مرة كمسرحية في المسرح الفني، ورغم أنها تتعامل بروح انتقادية صريحة مع الأجواء التي خلقتها ثورة أكتوبر البلشفية، وصورت معسكر الحرس الأبيض "المعادي للثورة التي خاض ضدها حرباً مسلحة لاستعادة روسيا القيصرية، بيد أنها عرضت انهيار الروح المعنوية والشعور بالهزيمة أمام مد الحرس الأحمر والثورة البلشفية. إن الصدق الذي ساد الجو الروائي وإيقاعه وسمات الشخصية علاوة على لغة كتابتها المثقلة بالصور الشعرية الشفافة، هو الذي جعل الرواية عملاً فريداً يثير الصدمة الفنية لدى المتلقي، بغض النظر عن مواقفه من الحدث التاريخي الكبير الذي غير مجرى التطور البشري في القرن العشرين.

لقد سبق وأن ظهرت بالعربية أهم أعمال بولغاكوف لاسيما "المعلم ومارجريت" و"بترجمتين الأولى، عن الروسية للمرحوم المترجم



بعد أن صدرت مؤخراً الأعمال المختارة للكاتب الروسي ميخائيل بولغاكوف عن دار المدى بترجمة عبد الله حبة، بات بوسع القارئ العربي تكوين صورة واسعة عن أدب الكاتب الروسي الشهير ميخائيل بولجاكوف (١٨٩١ . ١٩٤٠). وستساعد الأعمال المختارة بترجمتها الجديدة من الروسية في الاقتراب أكثر من عالم بولغاكوف الغرائبي المشحون بالغموض والتورية والإيمائيات واستخدام أدوات السرد المتنوعة والحبكة الفنية، ليتيح للقارئ تفسير أعماله المثيرة للجدل على مستويات عدة، بممارسة آليات التأويل والتأمل والحصول على متعة القراءة. علماً أن عبد الله حبة مترجم قدير يمتلك حس تحويل الصورة والعبارة من الروسية إلى العربية، وبرهن على ذلك من خلال ترجماته العديدة بما في ذلك إيفان بونين ويوري كازكوف وجنكيز ايتماتوف، فضلاً عن الأعمال الاجتماعية / السياسية.

وميخائيل أفاناسيفيتش بولغاكوف روائي روسي شهير ولد في الثالث من مايو / أيار عام ١٨٩١ في مدينة كييف، عاصمة أوكرانيا لأب منغمس في البحث الديني اعتبر أحد علماء الدين وعمل أستاذاً مساعداً في الأكاديمية اللاهوتية كمؤرخ ومنظر، ولأم تعمل مدرّسة وكانت متحصّرة من أسرة دينية أيضاً. كان بولغاكوف في السادسة عشرة من عمره عندما توفي والده، وبعد سنتين انتسب إلى كلية الطب في جامعة كييف. تخرّج بولغاكوف طبيباً وهو في الخامسة والعشرين، فأرسل إلى المستشفيات العسكرية عند جبهات القتال في أوكرانيا عام ١٩١٦. كان بولغاكوف قرأً قبل أن يبدأ رحلته في الطب والكتابة ومنحه شغفه بقراءة الأدب الروسي الكلاسيكي فرصة الغوص في الشخصية الروسية من وجهة النظر المغايرة لقواعد الكتابة التي أرادها أوائل السوفييت لمعايير تقييم الإبداع على أرضية الالتزام بأهداف ثورة أكتوبر. قرأ غوغل وديستوفسكي وتأثر بأدبيتهما.

وانتشرت أعمال بولغاكوف في عهد الاتحاد السوفياتي السابق في دائرة ضيقة من القراء، بل كانت شبه ممنوعة يتم تبادلها بين المولعين بالأدب بحذر، ورأت النور بشكل واسع منذ عهد اليريتسرويك (إعادة البناء) التي دشنها ميخائيل غورباتشوف في أبريل / نيسان عام ١٩٨٥ لتنتقل إلى

ميخائيل بولغاكوف

الأعمال
المختارة

قلب كلب (رواية)
بيوض الشوم (رواية)
مذكرات طبيب ريفي (قصص)

ترجمة : عبدالله حبه

